

نهالقات غامضة

عادما كلاشلان سيلفر وود - كوب إلى ستوكهولم . بطريق غير فضولية . بعد قص أجنحة المخابرات السويدية « المنتفخة » وأصبحت السويد مؤقتاً مكاناً غير عمل .. كمركز لعمليات المخابرات .. و رغب الساسة السويديون في تهدئة الروس . والمحوا مرة ثانية إلى المخابرات البريطانية بضرورة السيطرة على عملياتها .

وكان كار وماكبن بحاجة إلى إعادة تقييم لاستراتيجية المخابرات البريطانية في البلطيق والتأكد بأن شبكاتهم لم تنكشف . وعلى قمة « سكوب فياسكو » عاد جوناس ديكسينس مرة أخرى إلى ليتوانيا عبر بولندا وكان معه « شريكه » فاي تبوس ستانفشيوس الذى جاء بزوجته معه . وكان مستمتعاً بعودته الناجحة للمرة الثانية . وقدم ستايس زيمينش خبير المخابرات البريطانية « الليتوانى تقارير شهادة عيان تفصيلية عن المعارك الشرسة بين الأنصار والجيش السوفيتى . وادعى أن الريف كانت منطقة محرمة على المحتلين ليلاً . وكانت الغابات مخيفة بكل الحسابات وتعرض الآلاف من المدنيين والعسكريين للقتل على يد المتعاطفين والمتعاونين ضد الروس . وبت الأنصار الرعب فى نفوس الروس الذين جاءوا إلى البلطيق ضمن موجات التهجير الجماعى وخصصت لهم مزارع الليتوانيين المهجرين قسراً أيضاً إلى سيبيريا .

وعاش رجال الـ « كى - جى - بى » فى حالة إحباط وتبنوا أساليب مرعبة وارتدوا ملابس الأنصار للكشف عنهم . وعن مؤيديهم .

وكوم رجال الـ « كى - جى - بى » جث الضحايا فى ساحات القرى وراقبوا الأهالى عن بعد حتى يتعرفوا على رد فعل المواطنين . وألقوا القبض على الذين يكشفون وبسلامة نية عن أنفسهم وأنهم أقارب أحد الضحايا . ثم جرى استجوابهم وترحيلهم إلى سيبيريا - وكإجراء مضاد لهذا - لجأ الأنصار إلى تشويه وجوه الرفاق القتلى عن عمد .. حتى يجنبوا أسرهم مخاطر الترويع على يد الروس . بينما .. من يفضل الموت

على الأسر .. كان يفجر القنبلة اليدوية على رأسه حتى يحول بين نفسه وبين الاعتراف أمام الأعداء .

ومن أكثر الجوانب أهمية في تقرير « ديكسانس » كما رأى ذلك ماكبن وزايمنتس ، هو لقائه مع الأنصار وعلى الخصوص مع « جيوزاس لوكاشا » وهو الابن الأكبر لعائلة فلاحية ويبلغ من العمر ٢٥ عاماً .

وتعرضت عائلته للتهجير الإجبارى إلى سيبيريا ، وهو قائد معروف للأنصار وله قدرات فائقة في تنظيم الجماعات المقاتلة في الريف .. في خلايا تعتمد على ذاتها ، حتى يعظم من قدرتها وكفاءتها القتالية في مواجهة الأعداء .

وقد تركت قصص « ديكسانس » عن شجاعة الأنصار انطباعاً حسناً عن مستخلصي المعلومات في المخابرات البريطانية . وفي ليتوانيا .. كما هو الحال في لاتفيا وأوكرانيا .. هناك حرب ساخنة ضد الروس ويمكن مساندتهما بأقل تكلفة ، ومن الواضح أن عملاء المخابرات البريطانية على علاقة بقادتها .

ولا يوجد من هو أكثر أهمية من الدكتور « جوياس اليناس ماركيلى » وهو في رأى « ديكسانس » يقدم نفسه على أنه قومى ويحاول التعاون مع الأنصار . ولد « ماركيلى » في بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية وعاد سنة ١٩٣٠ إلى ليتوانيا ودرس في سلك الرهينة وفي النهاية رفض أن يتبرهن وتخرج سنة ١٩٤١ من الجامعة بعد دراسة الطب .

وتأثر ديكسنيس كثيراً بشخصية « ماركيلى » وقد أقام في منزله وتعرف على حماسه ومصادره وقدرته في استخراج جوازات السفر المزورة .. والتي أتاحت لديكسنس العودة إلى الغرب ، مقابل تسليم ديكسنس له شفرات اللاسلكى وجدول مواعيد الإرسال والاتصال بالمخابرات البريطانية في السويد ، وقائمة بعناوين في أوروبا الغربية لإرسال الخطابات الشفوية وقد أسماه ديكسنس باسم حركى ، نيابة عن المخابرات البريطانية « أريانز » .

وأثناء تلك الزيارة أيضاً ، أقنع ماركيلى ، « ديكسنس » بأن جماعة JLIK والقيادة الليتوانية المنفية وقاعدتها ومقر إقامتها في ألمانيا لاتحظى بالثقة من جانب جماعته من الريفيين لأنهم متعاونون سابقاً مع النازى ولذا لا اتصال بهم الآن . وأوصى بضرورة إنشاء منظمة جديدة تربط بين الأنصار والغرب تسمى « VLAK » وكانت تلك

التوصية اقتراحاً محرراً لماكين ولجهاز المخابرات البريطانية .. لأن المخابرات انتهت فعلاً
أى علاقة مع VLAK ويبحث ماكين عن منظمة بديلة ..

وكان تقرير ماكين عن وجود جماعة مقاومة منظمة داخل روسيا تناسب
احتياجات المخابرات البريطانية يحتاج إلى مزيد من البحث والفحص .

وفي يناير سنة ١٩٤٧ ، مُنح زيلتاسكسل ، وديكسنس وزايمنتس وعدد آخر من
الليتوانيين تذاكر سفر من ممثل المخابرات البريطانية في استوكهولم للسفر في مواعيد
وبطرق مختلفة من السويد إلى هامبورج .

وعند الوصول .. توجهوا إلى خارج أوسنبروك ومكثوا بها لأسبوعين .

وكان المضيفان للمجموعة .. ضابطان انجليزيان يتكلمان الروسية بطلاقة .. ولم
يكشف الضابطان عن هويتهم إلا في مرحلة متأخرة . أحدهما يدعى « كار » وعاش
الليتوانيون حياة مرفهة واستمتعوا بها وهم يناقشون استراتيجيتهم بينما الشعب
الألماني خلف أسوار القلعة يعيش على أقل من ألفي سعر حرارى يومياً وعانى
البريطانيون من توزيع الخبز بالبطاقات لدعم الأعداء السابقين .. وكان مضيفوا جهاز
المخابرات البريطانية يقدمون لليتوانيين ولائم لاتنتهى .

وتركزت المناقشات على الاعتراف بمنظمة VLAK . وشرح ديسكنس أن ماركيلوس
كان يجمع كل قادة الأنصار في اجتماع لتنسيق القتال ويجب أن تكون JLAK هي
المنظمة المعترف بها من قبلهم . وأرسل ماكين مسانده وتأييده .. ولم يكن حاضراً « إننا
نريد أن نمنح الأنصار الدعم السياسى في النضال وأن مجرد قتل الروس عمل وحشى .
ولا أثق بجماعة JLAK .

وعلينا أن نساند VLAK لبناء زايمنس وفي نهاية المؤتمر وافق ضباط المخابرات
على تكوين VLAK ووعدوا بالدعم المالى للحرب . وابتهج ديسكنس وزايمنس وإن
خلت بهجتهم عندما عرفوا أن قمة أنصار .. « ماركيلوس » عقدت منذ أسبوعين أيضاً .
ولم تنتهج نفس الطريق الذى تخيله ديكسنس .

وقد دعا مارليكوس لمؤتمر ٨ يناير ، ولكن جويابس لوكاس ، « قائد الأنصار » شك
في قدرة الطبيب المحوظة في توفير الأموال وجوازات السفر والمنازل الآمنة . وحذر
الأنصار بالابتعاد عن هذا المؤتمر .

وفي يوم الاجتماع راقب جواسيس لوكاس « لقاء باركيلوس » عن بعد ، ولاحظوا أن ضباط الـ « كى - جى - بى » قد أحاطوا بالمبنى .

وقدلقى القبض على الأنصار الذين لم يأخذوا بتحذيرات لوكاس .

وكشفت مزيد من التحريات أن ماركيلوس أصبح شيوعياً سنة ١٩٤٤ وكان ضابطاً عاملاً في الـ « كى - جى - بى » ومهمته اختراق حركة الأنصار .

وفي « أوسنبروك » أصبح ديسكتس « أدواته يشق المقاومة الليتوانية إلى جماعة VLAK و VLAK و دفع المخابرات البريطانية لتتبع في شرك الـ « كى - جى - بى » ولم يكن لدى لوكاشا جهاز لاسلكى أو عناوين لإسالة التحذيرات إلى الغرب واستمرت المخابرات البريطانية تسير في طريقها الذى اختارته وهى تجهل ما حدث .

وكان كار المشيع بأسطورة الثقة ومؤسسة الأمن على وشك أن يقع في شرك جديد .

وعشية رحيل الليتوانيين من أوزنبرك . اختصرت رحلة العودة لضيوف المخابرات البريطانية ، وامتلات جوازات سفرهم بالتأشيرات المزورة بما يفيد أن غيابهم لأسبوعين عن السويد كان في سفرهم لم توقف .

وعزز الوداع الحار استنتاج الليتوانيين بأنهم اكتسبوا دعم الحكومة البريطانية إلى صف قضية الاستقلال « لقد حصلنا على الجيش » كان ذلك ما أرسل به أحد ضباط المخابرات البريطانية إلى ماكبن ، وإننا ننتظر الواقعية السياسية للإفادة من ذلك . ولم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة التى يقتضى فيها المخابرات البريطانية رؤيتها للتاريخ وقد أخفى رجال المخابرات عمداً عن خوفهم « الواقعية السياسية » التى يدعها زملاؤهم على الجانب الآخر ، وزارة الخارجية البريطانية . ففى لندن ، وفى تلك اللحظة كان ارنست بيفن يستعد لمغادرة بلاده لاجتماع مع وزير الخارجية فى موسكو . وكان مستشاروه قد أعدوا موجزاً ينتهى بالاعتراف بشرعية الاحتلال السوفيتى لدول البلطيق .

وفى المذكرة المعدة إلى بيفن فى بداية مارس . أوضح توماس بريملو من القسم الشرقى الخلفية التاريخية ، وكانت بريطانيا على وشك الاعتراف بالاحتلال السوفيتى سنة ١٩٤٢ ، وفى ثانية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، ولم يحدث شئ فى عام ١٩٤٧ يغير من تلك الشرعية . ولكن كان على السوفيت فى مقابل ذلك تسوية الديون المالية التى

اقترضتها دول البلطيق من بريطانيا والمتبوعات البريطانية أثناء سنوات الحرب . ولكن دهشة بيفن خلال إقامته في موسكو . ان القضية ذكرت صراحة وان قضية الضم بالنسبة للسوفيت كان حقيقة ان الاعتراف الغربى لاقيمة له ، ولم تؤثر تلك الأحداث على بيرميليو وعن عودة بيفن إلى بلاده ، واجه الدعاية يطلب ان تحتج الحكومة البريطانية على عمليات « الترحيل العسكرى » من دول البلطيق إلى سيبيريا ونصح بيرميليو وزير الخارجية بأن ذلك لن يكون له أدنى فائدة للمرحلين . وان الحكومة السوفيتية سوف تعتبر ذلك وبكل تأكيد تدخلاً غير مقبول في الشؤون الداخلية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وتفهم بيفن ، بلاشك مجهودات القسم الشرقى لتوفير مخرج ملائم لمسألة دول البلطيق رغم عدائه الشديد للاتحاد السوفيتى .

وان قدر شعوب البلطيق ، شىء طفيف .. وجانبى إذا ماقورن بالقهر الشيوعى المخيف في أوروبا الشرقية من الشيوعيين في اليونان . وكان بيفن مقتنعاً أن روسيا تريد أن تحفظ أوروبا في حالة من الاضطراب أطول وقت ممكن لتمكن من إحراز الهيمنة الشيوعية في أوروبا .

وحدث بيفن واشنطن مراراً على أن تتحمل مسئولياتها لتوقف التقدم الشيوعى .

وقد استجابت واشنطن لتوسلاته أخيراً في ١٢ مارس سنة ١٩٤٧ .

ففى رسالة وجهها الرئيس ترومان إلى الكونجرس ، أعلن الرئيس ترومان أن الولايات المتحدة سوف ترسل المعونات إلى اليونان لمواجهة الشيوعيين .

وهذا ما عرف فيما بعد باسم « مبدأ ترومان » .

وقد فسر قادة الأركان العسكريون هذا الأمر على أنه « مقدمة حرب صليبية ضد الشيوعية .. ودعا القادة العسكريون البريطانيين إلى رسم خطط مشتركة لمقاومة الشيوعية » .

وكانت إحدى المبتكرات السياسية التي ابتدعتها الإدارة الأمريكية ، توجيه الدعوة إلى سفراء دول البلطيق في لقاءات رسمية واحتج السفير السوفيتى .. وهدد بعدم حضور أية لقاءات رسمية في وجودهم وتم تجاهل السفير السوفيتى .

وكتب اللورد جيبيلكو في السفارة البريطانية إلى بيرملو من بعد غياب السفير السوفيتى الذى ارتاحت له واشنطن فإن وزارة الخارجية بدأت في مراجعة سياساتها ..

وسربت الأخبار إلى الجانب الآخر .

وفي برودوى اعترف بنزييس أن المناخ السياسى فى لندن يفضل المزيد من العمليات ..

ومع ذلك فشلت المخابرات البريطانية فى الحصول على معلومات لها قيمتها داخل روسيا ..

وبالمقارنة بالمعلومات الوفيرة عن النشاط السوفيتى فى ألمانيا والنمسا من خلال العملاء المتعاونين .. إلا أن هناك قحطاً فى نشاط المخابرات داخل روسيا ذاتها . وظل هذا الوضع على حاله حتى تعقد برفض بليفس الفورى الموافقة على القيام بعمليات عدائية داخل الاتحاد السوفيتى . والتي يسهل البرهنة على تورط بريطانيا فيها حال اكتشافها .

وان رفع القيد عن تلك النشاطات . لكن مع تخفيض حاد للتمويل . حيث كانت بريطانيا على وشك حافة الإفلاس وتعتمد فى حماية السياسة الخارجية على سخاء واشنطن ، ونصح جورج كينان ، بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى موسكو الرئيس فى يوليو سنة ١٩٤٧ بتبنى سياسة حازمة .. هى ،، الاحتواء .. للميول التوسعية الروسية .

ولم يكن ضباط المخابرات الإنجليزية راغبين فى المشاركة بأى شىء مع أى جهاز مخابرات آخر ، وقد كان هناك عددا من العمليات تحتاج واشنطن المعاونة فيها لتنجح ، ولسوء حظ المخابرات البريطانية .. فإن جهاز المخابرات الأمريكية .. الـ « سى - أى - أيه » كان لايزال يكافح ليقيل من عشرة اضطرابات مابعد الحرب . وعقدت تلك المسألة المفاوضات « بين الجهازين » .

ودون اعتبار للأسطورة المتوهجة ، فإن النحويين فى « مكتب الخدمات الاستراتيجية » .. والمعروف باسم « وايلد بيل » كانوا مثل رئيسهم يخلقون الأعداء ، وتهدف تلك الزمرة الطائشة والعاجزة إلى أن يتسامح البيت الأبيض إزاء وجودهم فى زمن السلم .

وكان عرض دونوفا هو الإغراء الرئيسى بأن يسمح لمكتب الخدمات الاستراتيجية الاستمرار فى مواصلة عمله الفاشل ، على ثلاث محاور ..

الأول : أن هدف المكتب أصبح محل شك بعد أن أصبحت روسيا وبريطانيا حليفين .

الثاني : أن الجيش يعارض نشاط وكالة مدنية للاستخبارات .

الثالث : هناك اعتقاد بأن مكتب الخدمات الاستيراطية بات مكشوفاً بالكامل من قبل بريطانيا .

وفي خريف عام ١٩٤٥ ، لم تظهر هناك حاجة عاجلة لإقرار موقف إزاء تغيير هذا المكتب ، وبينما يحاول « سمسرة السلطة » في واشنطن حول مهمة التنسيق المشترك لتقديم المعلومات .. المخبرانية للرئيس وهل تكون تلك المهمة تحت الإشراف المدنى أو العسكرى ، جرى توزيع مهمات مكتب الخدمات الاستيراطية على عدد من الوكالات الأخرى .

وارتبط العاملون بالخارج .. والداخل .. وسط المنافسة نظراً للتنوع وغالباً تناقض الأهداف .

ولم يكن هناك من هو أكثر إحباطاً « هارى روسترك » رئيس القسم السوفيتى فى مجموعة المخابرات المركزية والتي تركت الوظيفة المدنية لمكتب المخابرات الاستيراطية فى واشنطن .

وكان روسترك أكاديمياً سابقاً ، أطروحته العملية عن التاريخ الأنجلو - ساكسونى . وبالأدق عن فترة ما قبل غزو تورفان لبريطانيا سنة ١٠٦٦ وحتى مايو سنة ١٩٤٥ ظل روسترك ضابطاً مقيماً فى لندن تابعاً لمكتب الخدمات الاستيراطية ، وفضل بعد ذلك أن يظل فى مكان رآه مثيراً كمتخصص فى الشئون السوفيتية فى المخابرات الأمريكية .

وكان « مصدره » الأساسى فى هذا .. كتاب أعدته المخابرات البريطانية سنة ١٩٤٤ عن جهاز المخابرات السوفيتية .

وحتى عام ١٩٤٧ ظلت معرفة وخبرة روسترك بالشئون السوفيتية أولية ومقصورة على الكتب المنشورة والمقالات وبحث مكثف عن الجاسوسية السوفيتية فى زمن الحرب .

وفى سياق قرارات روسترك ، أعجبه نجاح شخصين هما ، « ريتشارد دسورج »

« وليوبولد تريبر » من كبار العملاء السوفيت الذين نقلوا بدقة النشاطات الألمانية إلى ستالين . وبعد أن قرأ .. ملخصات ، المخابرات المتدفقة من أوروبا ، قرر أن يضع عملاء تحت الإشراف الأمريكي .. داخل الاتحاد السوفيتي للقيام بنفس المهمة .

وقد نصحه جورج كينان بأن الروس دائماً مراوغون .. ماكرون لا يمكن التكهن بما يفعلون ، وغامضون .. وكان أول حاجز هو غياب القوانين التي تمكن من القيام بتلك المهمة .. واحتاجت المخابرات الأمريكية إلى « تصريح قانوني » .

وانتهت الفجوة جزئياً في يوليو سنة ١٩٤٧ عندما وقع الرئيس على مشروع « الأمن القومي » وأصبح ١,٨٠٠ فرد مدني يعملون في مجموعة المخابرات المركزية .. من أوائل العاملين في المخابرات المركزية .

وفي غضون الشهور التالية ، ساءت العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا ، وكان وزير الدفاع الأمريكي .. جيمس فورستال هو الذي يحدد جدول أعمال روستزك . وكان الوزير يتوقع الحرب الباردة قبل أن تبدأ . وفي خريف سنة ١٩٤٧ ، سأل فورستال المدير المؤسس لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية « روسكو هيلنكوتر » .. وأجاب .. بأن ذلك ممكن الحدوث ، فور أن تحصل الوكالة على .. تصريح قانوني .. بذلك .

وأصدر مجلس الأمن القومي .. التوجيه رقم ٤ .. في « ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ويطلب من وزارة الخارجية التنسيق في الحملة الدعائية المضادة للشيوعية .

وفي الملحق السري من توجيه الأمن القومي رقم ٤ فقرة أ ، صدر الأمر لمدير وكالة المخابرات الأمريكية بأن يعزز الدعاية بغطاء من الحرب النفسية . وأنشئت مجموعة عمل خاصة لتنفيذ هذا التوجيه في أواخر سنة ١٩٤٧ داخل وكالة المخابرات الأمريكية وتحت إشراف مكتب العمليات الخاصة وأصبح روستزك رئيساً لقسم العمليات الخاصة « بالاتحاد السوفيتي » وبالتالي .. واحداً من أهم وأبرز موظفي الوكالة المسئولين عن « العمليات السرية » .

وأحس روستزك .. أن جزءاً من الحملة الصليبية الأمريكية ضد ستالين كانت موجهة أيضاً ضد هتلر . ورغم أن مكتب العمليات الخاصة لم يكن مخولاً قانونياً بشن حرب سرية .

وقد بدأت تلك القيود تسقط ، بعد أن قدم هيلنكوتر تقريراً شاملاً عن الوضع العالمى إلى الرئيس فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ وكتب فيه يقول : « يشن الشيوعيون فى ظل التوجيه السوفيتى حملة محددة لإثارة القلاقل والاضطرابات ، ويشاركون فى أعمال التخريب فى فرنسا وإيطاليا والهدف الرئيسى للسوفيت هو هزيمة برنامج الشفاء الأوروبى » بعد الحرب فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ . وفى ظل توجيه الأمن القومى رقم ١٤ بدأت المخابرات الأمريكية سرأً إنفاق عشرة ملايين دولار فى إيطاليا لتمنع الشيوعيين من الفوز فى الانتخابات . وبعد ذلك بشهرين بدأت الوكالة مساندة « المعسكر المعادى للمستوليين فى الحرب الأهلية اليونانية » .

وفى عموم ألمانيا .. فجر « محاربو الشيوعيين » شرارة الحديث عن حرب جديدة وقال .. رينهارد جهلن الرئيس السابق لمخابرات هتلر ، المسئولة عن الاتحاد السوفيتى والذى أصبح مستشاراً للجيش الأمريكى للجنرال « لوكيوس كلاى » الحاكم العسكرى الأمريكى فى برلين أن ١٧٥ فرقة من الجيش الأحمر السوفيتى عبر « المنطقة الحدودية » فى وضع الاستعداد وتشير التوقعات أن ذلك الحشد مخطط ومعد لمهمة عسكرية .

ولما كان « كلاى » مهندساً فى زمن الحرب ولايملك أى خبرات عسكرية عن الخطوط الأمامية ، سرعان ماقتنع بدقة ذلك التقرير بسهولة .

ومنذ عامين مضيا ، قدمت القيادة المشتركة فى واشنطن تقريراً عن التعبئة الكاملة للجيش الأحمر .. وأن عدده يبلغ ١٥ مليوناً أو ٦٥٠ فرقة عسكرية ، وبمقدور هذا الجيش أن يصل إلى القناة الانجليزية فى غضون ثلاثة أسابيع ، وجبل طارق فى خمسة شهور .

وفى الخامس من مارس سنة ١٩٤٨ وبعد شهر واحد من الانقلاب الشيوعى فى تشيكوسلفاكيا أرسل « كلاى » برقية تاريخية إلى مدير المخابرات فى البنتاجون قال فيها : كنت أحس وأجزم أن الحرب لن تقع قبل عشر سنوات على الأقل . وفى غضون الأسابيع الأخيرة .. أحسست أن هناك تغيراً دقيقاً فى الموقف السوفيتى لايمكننى أن أعرف عليه بدقة ولكن يعطنى هذا الموقف إحساساً بأن مفاجآت درامية يمكن أن تقع . ورغم أن كلاى .. اعترف بأن تحذيره ناشئ عن مجرد أحاسيس ولايقوم على دليل قوى ، إلا أن الرسالة سربت إلى الصحافة .

وفى ظل الهستيريا .. التى تعم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، كثر محللوا

الوكالة التحذير وأن الحرب ستشعب في غضون ثلاثة شهور على الأكثر .. ورغم أن الوكالة .. كانت صوت العقل .. عند قيامها بتكهنات وتقديرات أخرى .

وفي اليوم التالي دعى الرئيس ترومان في رسالة إلى جلسة مشتركة لمجلسي الكونجرس إلى عودة المجندين إلى الخدمة فوراً .

وعندما .. درس تحذير « كلاى » وأعيدت دراسته داخل البنتاجون بدا أنه يملك مصداقيته ، فإعداد الفرق العسكرية الروسية العاملة في أوروبا الشرقية .. وطبقا لتقديرات الخبرات ، تزيد إلى حد كبير عن القوات المطلوبة لمجرد مهمة الاحتلال .

وأن هدف السوفيت النهائي يكون بذلك « الغزو » ولم يتوقف أحد ليفكر في تفسير بديل .. ذلك أن الروس أقل كفاءة .. أو يريدون من تلك القوات مهاماً إضافية مثل الإدارة والتعمير ، ولم يتجرأ شخص في التفكير في الرأى الذى ساد في منتصف عام ١٩٤٦ من فرع المخابرات العسكرية ، والذى كان يشرف على ألفى رجل من رجال المخابرات المضادة في ألمانيا والذى أكد أن الجيش السوفيتى دون المستوى التسليحي المطلوب .

ولم يفكر أحد في واشنطن .. في التقييم المخابراتى .. الذى قدر فيه القيادة العسكريون البريطانيون أن الاتحاد السوفيتى لن يستطيع أن يبدأ حرباً قبل نهاية سنة ١٩٥٦ إلا إذا اعتقد الزعماء السوفيت .. بأن الاتحاد السوفيتى على وشك أن يتعرض لهجوم ، أو قدروا وقوع رد فعل من الحلفاء تجاه نفوذهم . وقد عزز الفيلد مارشال مونتجمرى هذا الرأى بعد زيارته الرسمية لموسكو .

وأوشك هارى روستزك بأن يقتنع بسهولة بأن الحرب وشيكة ، رغم أن ملفاته كانت تعاني قحطاً في المعلومات الأساسية عن خطوط السكك الحديدية والطرق والكبارى في الاتحاد السوفيتى .

وكانت التقديرات الصادرة عن البنتاجون والبيت الأبيض .. بأن الروس قادمون مقنعة إلى حد كبير ، وقد ظهرت مصداقية تلك الاستنتاجات وتعززت عندما فرض الروس « حائط برلين » بعد خمسة وعشرين يوماً من برقية « كلاى » وفي هذا المناخ المثير ، لم يتوقف شخص في واشنطن في فهم هذا وأن ذلك كان بداية الحرب . ثم لماذا لم تقرر المخابرات المركزية الأمريكية في برلين غياب أى تعبئة أو تخزين للأسلحة والمهمات في المنطقة السوفيتية . ولماذا لم يُجل عملاء أمريكا الألمان ؟

وتعززت قناعة روستزك الشخصية وفي سرية تامة ودُعى إلى اجتماعات مع قادة الجيش الكبار في البنجاجون لعرض موجزٍ عن المتطلبات المتغيرة والمطردة الجديدة ، ولم يكن هناك اجتماع أو توجيه له أهمية عند روستزك إلا ذلك الأمر الذي صدر له في سنة ١٩٤٨ من « قائد الجيش » الذي كان يشرح على خريطة ضخمة تتدلى في غرفة العمل وطلب .. أريد عميلاً في كل مجال جوى بين الستار الحديدي والإمرار . أريد أن أعرف متى تطلع القاذفات ،، ولم يكن ذلك الاجتماع يعنى بأى معنى أن نية البنجاجون إعلان الحرب ولكن يعكس الاجتماع الخوف الشائع لدى الأمريكيين وأنهم عميان تجاه النوايا السوفيتية ، وعاد روستزك إلى مكتبه ويرن في أذنيه بصوت عال .. التوجيه .. عمل .. عمل .. عمل .

وأخيراً وافقت السلطة الجديدة السماح للمخابرات الأمريكية الـ « سى - آى - آيه » تنفيذ عمليات سرية . وصدر التوجيه « مجلس الأمن القومي » ١٠ / ٢ ووقعه الرئيس في ١٨ يونيو . و« نشئت » مجموعة خاصة .. داخل مجلس الأمن القومي للإشراف على تنفيذ العمليات بموجب التوجيه ١٠ / ٢ . وفي ضوء المبدأ القائل بأن « العمليات الأجنبية التي تقوم بها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تدعمها العمليات السرية بما يسمح لحكومة الولايات المتحدة أن تتقّى أى مسئولية تجاه تلك العمليات .

وكان مدى غير محدود ، وستشمل العمليات أى نشاط سرى يتعلق بالدعاية لانتظار الحرب ، والعمل الوقائى المباشر .. وإثارة القلاقل والتخريب المضاد وإجراءات التخريب والإجلاء ، والإطاحة بالحكومات المعادية وتقديم المعاونة لحركات المقاومة السرية وجماعات التحرير والميليشيات ومساندة العناصر المعادية للشيوعية في البلدان التي يتهدها الخطر الشيوعى في بلاد العالم الحر . وكان التوجيه بالنسبة لروستزك ، ورجال الـ « سى - آى - آيه » بمثابة توقيع على بياض والعودة إلى الأعمال الحربية التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية حينما أسقط عملاء « مكتب الخدمات الاستراتيجية » بالمظلات في أراضي الأعداء .

ولا يوجد شيء أكثر وضوحاً عن أهداف الوكالة .. سوى الوثيقة السياسية السرية للغاية التي أعدت تحت إشراف جورج كينان والتي تبناها الرئيس ترومان في أغسطس سنة ١٩٤٨ . وقد وصف التوجيه رقم ٢٠ لمجلس الأمن القومي « الهدف الأمريكى » وهو الإطاحة بالسلطة السوفيتية . ورغم أن كينان لم ينصح أو يجبذ شن أعمال

عدائية ، أو عنى بأى معنى « الحرب الفعلية » وأوصى فقط بسياسات يمكن أن تحقق النتيجة دون الوصول إلى أقصى درجات الصراع ، واقترح أن تدعم حكومة الولايات المتحدة الجماعات المضاره المعادية للبلشفية ، والذين ، حسب رأيه ، يعدون طعاماً أفضل لروسيا ، واقترح كينان .. بدلاً من تعمد الولايات المتحدة إلى اختيار جماعات معينة كمرشحين مثاليين لتلك المهمة . يجب أن يعامل جميع المعادين للبلشفية على قدم المساواة ويسمح لهم .. بوضع تصوراتهم ومقترحاتهم عن السلطة ، في أعقاب سقوط البلشفية في روسيا .

ويجب أن تعامل جميع الجماعات ، وفق ماتقدمه من أوراق اعتماد أكيدة في عدائها للشيوعية .. دون الأخذ في الاعتبار سلوك أى منها إبان حقيقة النازى ، وأطلق على هذا البرنامج البالغ السرية « حجر الدم » وقد عرفت اللجنة الفرعية التى أدارت « برنامج ، حجر الدم » بين المشاركين القلائل المختارين بعناية في واشنطن باسم « SANACCCZGS » .

وقد عهدت لجنة « حجر الدم » لك « سى - أى - أىه » بمساندة أى جماعة بما فى ذلك الاشتراكيين ، والنقابيين والمفكرين ، والذين يمكنهم إنتاج دعاية معادية للشيوعية ، وقد ناقشت اللجنة فى مارس سنة ١٩٤٨ الاستفادة من اللاجئيين القادمين من الاتحاد السوفيتى وذلك بتقويم أوجه القصور التى تعانى منها تلك النخبة القادمة من المعسكر السوفيتى وتفكيك صورة العدو الأمريكى لديهم . وقد جىء بخمسين من أفضل اللاجئيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتشكل « نواة فاعلة للجان التحرر » ، وتشجع حركات المقاومة فى العالم السوفيتى والقيام بالاتصالات مع الجماعات السرية .

وكان الشخص المسئول عن تنظيم وترتيب النشاطات المخبراتية هو « فرانك ويزنر » الذى يتمتع بطاقات حيوية وعين لإدارة مكتب التنسيق السياسى ، الذى اتسن فى قرارات الخارجية وإن كان رسمياً جزءاً من الـ « سى - أى - أىه » وأثارت استقلالية ويزنر صراعاً داخلياً ، وبسبب اختيارات للمجندين العاملين معه واستهدف ويزنر على وجه خاص اللاجئيين السوفيت باعتبارهم ، العناصر المثلى لتنفيذ الأهداف القومية للمصالح الأمريكية . وفى كتابه وبث الدعاية ، وقد حثت « لجنة ٣٩٥ » ويزنر أن يجند الأجانب « من مجرمى الحرب والمتعاونين مع سلطات الاحتلال الخونة » والذين ساعدوا طوعاً قوات الأعداء عند اطلاق الحرب العالمية الثانية .

وقد تناقض هذا « التفويض المفتوح » مع رفع الحكومة الأمريكية للدعوى العمومية

ضد تلك العناصر ، مما أعطى على الفور .. نشاطات لجنة .. حجر الدم .. بعدم الشرعية والقانونية .

وكان من بين الذين أتت بهم لجنة .. حجر الدم .. جوستاف هيلجر الموظف السابق بوزارة الخارجية الألمانية وكانت مهمته تشمل على الاتصال باللجنة .. الألمانية .. المسئولة عن ممارسة القتل اليومي لليهود في أوروبا .

والجنرال أندريه فلاسوف .. القائد السوفيتي البارز الذي كان موالياً للامان ، والذي قاد حوالي ٣٠٠ ألف جندي ضد ستالين .

وبعد الحرب استقدم هيلجر إلى أمريكا للمساءلة . ثم أصبح مؤخراً يقدم المشورة إلى وزارة الخارجية الأمريكية .

وخشية توقع احتجاج من الرأي العام إزاء تلك الأنشطة .. قدمت وزارة الخارجية ملخصاً بالموقف إلى قادة الكونجرس في سبتمبر سنة ١٩٤٨ وأحاطتهم علماً بهذا البرنامج لكسب تأييد قادة الكونجرس وحتى تضمن سكوتهم .

ولكن .. كان برنامج الدعاية .. نشاطاً ثانوياً من « أنشطة » العمليات الخاصة وقد عُرّف هذا البرنامج بأنه .. نشاطات ضد الأعداء تقوم به القوى الحليفة والصديقة خلف خطوط الأعداء .. وكانت العقبة البارزة في أثناء سنة ١٩٤٨ هي إيجاد عملاء ينفذون تلك العمليات الخاصة داخل روسيا .

وقد عكست الأهداف والوسائل المختارة .. اختيارات .. لجنة العمليات الخاصة ، وكتب كينان إلى فورستال في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، مقترحاً ضرورة أن يعيد الجيش تكوين مدرسة لحرب العصابات وبعد عشرة شهور أوصت اللجنة العسكرية المشتركة للتخطيط الاستراتيجي بضرورة إنشاء مدرسة لحرب العصابات كوسيلة .. لدعم حركات المقاومة الأجنبية .. وفي ضوء ذلك وضعت الدراسات اللازمة من قبل المخابرات الأمريكية العاملة في أوروبا والقوة ١٠١ العاملة في بورما حيث أحرز رجال حرب العصابات هناك .. نجاحاً خاصاً .

ومن أجل تغطية تلك الاقتراحات ببعض المقولات التي تلقى الاحترام ، ذكر أن .. في أثناء أحداث الحرب ، يحتاج الجيش إلى خطوط .. هروب لأسراب القوات الجوية الحليفة ، وتدمير رؤوس السكك الحديدية والمعدات ولكن تجاهل هذا الاقتراح .. فارقاً

أساسياً في الحرب بين دولة ودولة حيث أن حرب العصابات في الحرب العالمية الثانية جرت ضد محتل أجنبي بينما العمليات تحت التقييم سنة ١٩٤٨ . ستنفذ داخل روسيا نفسها .

ورفض القادة العسكريون الأمريكيان هذا الاقتراح وشرحوا رفضهم بأن العمليات الخاصة أصبحت من مسئولية الـ « سى - أى - آيه » والجيش سيقدم التدريب للعملاء ولكن يجب أن يتورط الجنود في حرب غير مشروعة حيث يشتمل تعريف « العمليات الخاصة » على ممارسة « حرب سرية » وتخريب واغتيالات .

وقد أوضح قرار الجيش .. تفهمه الكامل لنوايا الحكومة ، وحسب رأيهم يجب أن تترك الأعمال القذرة لعناصر غير أمريكية .

وقرر موظفو وسياسيو البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية والـ « سى - أى - آيه » وهم يفضلون « العمليات السرية » أن يعهد بتنفيذ تلك المهام الخاصة إلى عناصر أجنبية ، من الذين يقاومون نشاط الاتحاد السوفيتي .

وكان نموذج .. حركات المقاومة السرية .. وحرب العصابات وجماعات التحرر من اللاجئين هو الجنرال أندريه فولسوف ، الذى اعتقد الأمريكان أنه قد جند بإشراف الألمان حوالى مليون روسى للقتال بجانب النازى ضد ستالين ، وكان من بين البلدان التى رأت فيها .. لجنة .. العمليات الخاصة أفاقاً لشن الحرب السرية .. على نحو ممتاز ، ليتوانيا ، وطبقا لتقارير مختلفة .. فإن هناك ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف من الأنصار ينشطون فى قتال الجيش الأحمر هناك . ولم تذكر لاتفيا واستونيا ، لأن المخابرات الأمريكية لم تكن لها مصادر معلومات عنها .. مثلما كان متاحاً للمخابرات البريطانية .

وفى إعلان سياسى حديث لمجلس الأمن القومى الأمريكى . ورد وصف للأهداف الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي ، وقد حددت دراسة جورج كينان دول البلطيق .. بأن لها وصفاً خاصاً من وجهة نظرنا .. ويجب أن تحرر من السوفيت بيد القوات الأمريكية .

ولا يمكن أن نعترف حقاً بمزيد من القدر السيء لشعوب البلطيق ..

ويجب أن تعتبر تلك المنطقة ، منطقياً من أهداف الولايات المتحدة حتى نرى تلك البلدان تحقق شيئاً ما وعلى الأقل اقتراباً معيناً من حالة الحرية والاستقلال .

وركز كينان على التكلفة أنه من العبث تخيل أن ذلك يمكن أن يحدث عبر حرب قصيرة واستبعد كينان على نحو واضح جداً «أوكرانيا» من فرصة تحرير أنفسهم أساساً من السيطرة الروسية . وذهبت مسئولية العمليات الخاصة إلى روستزك .. وكان الهدف الأساسي فعل شيء ضد السوفيت .

وكان مركز تدريب العملاء في .. القسم الأمريكي .. في المانيا الغربية .. وقد تحدد الموقع المثالي فهذا المركز بالقرب من ميونخ .

وباشر روستزك العمليات ببث مصادر للمعلومات في الاتحاد السوفيتي (القفاز الأحمر) وسافر العملاء عبر روسيا بجوازات سفر شرعية وتأشيرات دخول قانونية ، وعرفت العملية باسم حركى .. الجلد الاحمر ..

بينما أطلق على الضباط الروس المجندين في الغرب « عملية » الكاب الأحمر . وأصبح شارلى كاتيك ، العميل المحنك للمخابرات البريطانية ، وبعد طرده من تشيكوسلفاكيا يعمل تحت غطاء محقق « جرائم الحرب » وعين رئيساً لقاعدة التدريب في « كافبوريين » وهى قرية صغيرة محاطة بالأشجار وتبعد خمسين ميلاً عن ميونخ .. وطلب رسمياً ثلاثة منازل للإقامة المعيشية في ضواحي القرية ، وتؤمن بإحكام من خلال سور عال ، رغم المخاطر المثيرة التى يمكن ان تتعرض لها المنازل من المواطنين العاديين الذين افترقت « إدارة العمليات » خداعهم .

وقد خنق الإحساس بالخطر وتوقع حدوث أمر طارىء بين الجواسيس الجدد أى شعور بالمخاطر .

ورأس مجموعة العمليات السوفيتية في جورج بيلك الذى كان على علاقة مع هارى كار والكسندو ماكين .

وولد بيلك في روسيا سنة ١٩١١ ، وكان والده كولونيل في جيش الجنرال دنكن الذى حارب البلاشفة جميعها عدة بريطانيا .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ هجر بيلك مع والدته من الاوديا إلى القسطنطينية واختفى والده إلى مالانهاية في فوضى « الروس البيض » ، الموقع الأخير لحشود تروتسكى . وبعد ثلاث سنوات .. نزل بيلك في الولايات المتحدة الأمريكية . وتخرج في ١٩٢٦ من مدرسة جورج تاون « للخدمات الخارجية » .

وفي عام ١٩٤٢ التحق بالأسطول الأمريكي وأصبح متخصصاً في شئون المخابرات وفي سنة ١٩٤٥ وفد في مهمة للجيش الأمريكي في بوخارست المحتلة من قبل السوفيت في رومانيا .

وكانت البعثة الأمريكية الصغيرة في بوخارست تضم الطيار فرانك ويزنر وقد وصل إلى بوخارست في ظل توقع أن يفى ستالين بتأكيداته إلى روزفيلت وتشرشل ويسمح بانتخابات حرة ، ولكن شهد بيلك مؤامرة الـ « كى - جى - بى » وهى تفرض على الحكومة الشيوعيين الرومان القادمين من موسكو .

وبحثت المخابرات السوفيتية المدربة جيداً ، من أعداء للشعب .. وأدركتهم ضمن قوائم الاعتقال الفورى .

وقد عززت تلك الخبرة مأساة طفولته . واعترف بيلك بأن الشيوعية السوفيتية أصبحت عدواً لي منذ أن كنت في الثانية من عمرى ، ويجب أن يمنح انتشارها السرطاني وقد شاركت في قتالها بكل ما في نفسى من غبطة .

وجُنِّد بيلك سنة ١٩٤٧ على يد ريتشارد هيلمز ليلتحق بوحدة الخدمات الاستراتيجية ، الجهاز السابق على الـ « سى اى - آيه » في المانيا الغربية .

وكان رئيس بيلك في هيلدبرج ، هو جوردون ستوارت . الضابط السابق بمكتب الخدمات الاستراتيجية وكان على غير « رجال مخابرات الجيش » ، يرى أن الأولوية ليست في اصطلياد مجرمى حرب النازى ولكن في التصدى للتهديد الشيوعى للمصالح الأمريكية . وكان الضابط الجديد مشتاقاً لمهمته التى أصبحت عمل حياته ، وبحث في معسكرات اعتقال المنشقين المستعدين للانخراط في حرب سرية ضد الشيوعية .

وراقب بيلك كتلميذ مبتدئ .. زملاءه الآخرين لمدة ثلاثة شهور قبل أن يقع اختياره على سبعة عشر مصدراً للمعلومات في معسكرات الاعتقال ، الذين يوفرن تدفقاً مستمراً للمعلومات عن المؤامرات وإمكانية الثورة في أوطانهم السابقة .. ورغم أن التأكيد لايزال على عملية جمع المعلومات والقيام بالاتصالات .. إلا أن بيلك كان متأثراً بأن مايقدر من مليون مواطن سوفيتى حاربوا إلى جانب الألمان ضد ستالين ولا توجد جماعة أكبر من جيش التحرير الروسى الذى يقوده الجنرال أندريه فولسوف ، ورغم

أن فولسوف سلمه الجيش الأمريكى إلى الروس في مايو سنة ١٩٤٥ ، إلا أن خلفاءه كانوا يضغطون على ممثل المخابرات الأمريكية بما لديهم من معرفة وبشبيكاتهم المعادية للشيوعية التي لاتزال داخل روسيا .

وأحس بيلك الشاب بالمصلحة المتقاربة مع أولئك المعادين بقوة للشيوعية ، وأدرك مؤخراً فيما بعد أن مصدر معرفتهم كان مجرد شائعات كاذبة والتي وجهها مجتمع المخابرات على أنها معلومات حقيقية وصادقة ، ولم يكن مستهلكو تلك الشائعات قوى الاحتلال الأربع ولكن أجهزة المخابرات المنافسة .

وقد أكمل أنا تولى جرانوفسكى ، الضابط الكبير بالـ « كى - جى - بى » تعليم بيلك على طبيعة أعداء والده ، وقد ناقش جرانوفسكى في أوجه مقصورة في ستوكهولم وتسلمه بيلك في أوائل سنة ١٩٤٧ ومرت ستة شهور قبل أن يدرك بيلك أنه أصبح يعرف عن نوايا وأهداف ووسائل السوفيت أكثر مما يعرف الآخرون في المخابرات وطلب بيلك نقله في ربيع سنة ١٩٤٧ إلى برلين ، بعد إحساسه بالتفوق . ليدير سلسلة من مصادر المعلومات العاملة داخل « المنطقة السوفيتية » في ألمانيا وكان المصدر الرئيسى لمعلومات بيلك .. هو ضابط سوفيتى كان مسئولاً عن أرشيف إدارة الـ « كى - جى - بى » في كارلشورست .. من خلال صديقة المانية للضابط الروسى .

وقد تفاوض بيلك للحصول على المعلومات مقابل وعد بإقامة أمنة في الولايات المتحدة الأمريكية ، عند تنفيذ العملية . وكانت تلك العملية جوهرة أصيلة في مدينة تمتلئ بالمعلومات المضللة عن المؤتمرات والمؤامرات المضادة بواسطة السوفيت أنفسهم والقادة العسكريين المعادين للسوفيت أيضاً .

وعندما عاد سيلك إلى ميونخ سنة ١٩٤٨ ليدير شبكة العملاء داخل الاتحاد السوفيتى ذاته ، رأى أنه ضابط له خبرة مخابراتية متميزة ويمكن أن يُعهد إليه بتنفيذ العمليات السرية والتي نوقش إطارها العام خلال الشهور السابقة في واشنطن .

وكان دافعه مثاليا .. اننى متعاطف مع أى شخص معادى للشيوعية .. كما قال بذلك إلى كاتيك ، وكانت مضخة العملاء في ألمانيا الغربية كبيرة العدد .

وكانت منطقة مسئولية بيلك الجديدة .. هى دول البلطيق الثلاث ، المنطقة التي

لا يعرف عنها شيئاً . وكان ممتناً جداً عندما اقترح أمريكي من أصل يوناني يدعى .. أنتوني فايفادا ، أين يبحث عن اتصالات له ، وانتهت إقامة فايفادا في شياغوا ، مشكوراً في سنة ١٩٤٦ مع عرض بوظيفة ذات أجر حسن نسبياً كمحلل في وحدة الخدمات الاستراتيجية للشئون السوفيتية ، وفي أول اتصال له مع بيلك بعد أن تولى عمله الجديد في الـ « سى - أى - آيه » اقترح فايفادا الاتصال بضابط ميدان ضمن جماعة VLIK وتحديداً مع الجنرال بوفيلاس بلشافيكوس ، القائد السابق للجيش الليتواني .

وبينما كان الانجليز يفضلون زايمنتس وديلسكنس قبلت جماعة VLIK عرضاً بالمساعدة من المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) والتي فضلت إدارتها إلى بوفليتين في المنطقة الفرنسية واكتشف بيلك أن بلشافيكوس كان يعيش في القسم البريطانى والتحق بشبكة جماعة VLAK التابعة للمخابرات البريطانية . ورغم أنه لاقية له في أن يخدم الـ « سى - أى - آيه » والآن بلشافيكوس أقنع بيلك أثناء الحديث أن شبكة المقاومة داخل ليتوانيا لم تصب بأذى ، ولا تزال تحارب الروس وأنها متلهفة للتعاون مع الأمريكين .

وكانت تلك الأخبار التي أراد بيلك الاستماع إليها . وسأل الأمريكى .. عن أى اتصال يمكن أن يتم مع المقاومة . وأجاب الليتوانى .. مطلقاً .. وألح في حديثه أن العمليات التي تقوم بها الجماعة تشرف عليها المخابرات البريطانية لاتزال مستمرة .

وكان بيلك يرى أن المخابرات البريطانية .. وكالة يجب أن تؤخذ في الاعتبار وتحترم ، رغم أن الجانبين يعرفان أنهما أبناء عمومة وكل أمريكى يعرف أن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا مثل الأسرة والطفل ، وأثناء الحرب ، كان العملاء الأمريكان يدربون على يد البريطانيين . وقد كافح مكتب الخدمات الاستراتيجية حتى يتغلب على وضعه كشرىك أصغر .

وكما اقترح بلوشافيكوس . فإن المخابرات البريطانية لاتزال ترسل العملاء إلى روسيا ودول البلطيق وتحتاج الـ « سى - أى - آيه » إلى تعويض النقص في الأرض المهملة . ولم يعط بلوشافيكوس أى تفاصيل عن العمليات البريطانية .

ولم يكن في ذلك محتطاً أو جاهلاً ، ولكن لاحظ بيلك أن الجنرال بدا فخوراً بما يملك من معرفة .

وقد انتهى بيلك إلى استنتاجين مهمين بعد سلسلة من اللقاءات مع العناصر المنفية التى يود تجنيدها .. الأول : أن المنفيين يستمتعون بالقوة التى تحوزها فجأة عندما تطلب المخابرات الغربية معاونتها .

وأن تعبيرهم عن هذا النفوذ يتجاهل التوفيق بين ما يعرفون ومقتضيات الأمن .

وفى نهاية سنة ١٩٤٨ كان بيلك تحت ضغط الحاجة إلى إيجاد مصادر جديدة للعملاء وتدريبهم ، وقد وقع بيلك فى سوء التقدير للعناصر المنفية ورغباتهم .. ولم يكن دقيقاً فى ذلك .

وكانت اهتمامات المنفيين بالسياسة لبالأمن ، وقد تعرض كار وماكين لسوء فهم مشابه لذلك ..

وكانت الدعوات التالية لبيلك موجهة إلى موسينجور كار بقشيوس القائد السياسى لحركة VLIK والكولونيل أنتاناس سوفي القائد العسكرى للحركة .. وكانا كليهما لا يزال يعيش فى المنطقة الغربية .

واستكملت الاستعدادات التمهيديّة ، وناقش الرجال الثلاثة .. وعلى نحو متفائل آفاق انهيار حكم ستالين نتيجة الثورة القومية ضد الروس .

وأكد الرجلان الليتوانيان للأمريكي أن VLIK لها اتصال مباشر مع أربعة جماعات من الأنصار ، التى تحارب بفاعلية السوفيت ، وكانت المبالغة والمشاعر المتوهجة هى الأوكسجين الذى يحتاج إليه القائدين المنفيين .

ولكن سرعان ما استعاد بيلك أيضاً ماكين الماضى الخاص بالرجلين وعطب هاتين الشخصيتين .

وفى نفس الوقت ، تدعمت ادعاءات المنفيين بأخبار حملها رسل من السفارة الأمريكية فى موسكو يحددون مقالات الصحف المحلية التى تصف .. قوة النشاط المعادى للحكومة فى ليتوانيا ، وعصابات السرقة .. ملمحاً مرتبطاً بالحياة المعاصرة .. والتخريب والسطو والقتل .. وانتهى تقرير السفارة الأمريكية .. باعتراف صريح بقوة النشاط المعادى للسوفيت وأن لها دلالة كتأكيد لايقبل الإنكار عن السخط والمقاومة المسلحة .

وكان هناك مزيد من التأكيد على التمرد المعادى للروس في مطلع عام سنة ١٩٤٨ ووصل .. جوياس لوكاشا .. قائد الأنصار في ليتوانيا ، إلى ألمانيا .. كبطل .. بعد عشرة شهور من مغادرته بلاده ، ومعه خمسة عشر حارساً خاصاً . وقد قتل ثلاثة من حراسة على يد الجيش الأحمر ولأول مرة ، يرى الغرب برهاناً حياً أن هناك من يصارع الصخرة المسماة ستالين وقدم لوكاشا وصفاً دقيقاً لخيانة ماركيلوس في الاجتماع المخطط لقادة الانصار في يناير سنة ١٩٤٧ . وأصر على أن هذا الضيف ضابط في الـ « كى - جى - بى » وعلى النقيض من تقرير ديسكنس كان الأنصار يثقون في VLAK ولم يسمع أى شخص عن VLAK .. تلك المنظمة الخاضعة لإغراء المخابرات البريطانية . وكان دفاع ديسكيس عرف ماركيلوس . وكما افترض لوكاشا دليلاً على أن ديكستس هذا أيضاً عميل لكـ « كى - جى - بى » . وعندما سُربت الأخبار إلى لندن ، اتسع الخلاف بين الليتوانيين واستدعت الأمور أن يطير ماكين إلى ستوكهولم في صيف سنة ١٩٤٨ لمواجهة ديكستس .

وقال ماكين « نريد إقامة القتال بالراديو مع الأنصار » .

ورد ديكستس بجفاء : « إنك دائم الحديث عن الراديو » .

وقال ماكين : إننا نساند ذلك الأمر .. رغم أنه عرف أن كبار موظفى الخارجية البريطانية شكوا في قوة المقاومة ؛ لأن الصحافة الروسية بدأت تتحدث عن المقاومة .

وقال ديكستس : « من الممكن أن تساند ذلك ، وهو شخصية تشرب ماييزيد على زجاجة ويسكى يوميا ، وأضاف . ولكن ماذا ستفعل أكثر من ذلك ؟ كيف يمكن أن نحرر بلادنا بالراديو .

وأجاب ماكين : إنها مجرد بداية .

وكانت محاولات ديكستس للاتصال بماركيلوس عبر الراديو غير ناجحة لبعض الوقت .. وتقول تقارير المخابرات أن اتصال عميل المخابرات البريطانية الليتوانى ، والتر زابلتسكاس ، كان يتم عبر تسلم مظروف بنى اللون بانتظام من منزل « سيلفروود كوب » يحتوى على الشائعات والتخمينات والحقيقة الصعبة التى أغفلت هى مصير ماركيلوس .. وهو ما ظل مجهولاً بالنسبة لـ « زيلنكسكاس و ديكستس » .. وقد كان

الدكتور ماركيلوس هدفا لمحاولات اغتيال على يد أربعة من الأنصار .. وحتى تؤمن حياته الـ « كى - جى - بي » قامت بحركة خاطفة ووضعتة في مكان آمن في ليننجراد .

ولم يصدق زيلنكساس وديكستس أن منظماتهم محترفة من الـ « كى - جى - بي » وكان ماكين .. غالباً ما يتورط في نوبات شراب طويلة وثقيلة وإن كانت مرحة مع ديكسنس .. والتي قللت من احتراس ديكسنس .. ولكن حتى في أشد حالات السكر وفقدان السيطرة على النفس .. لم تبدر منه إشارة تفيد أنه شخص غير غيور على وطنه ، وفي المقابل .. كشفت محادثاتها عن كراهية مشتركة للشيوعيين .. اللذين سنطردهم .. وفي أثناء زيارة ماكين إلى ستوكهولم وقعت أحداث أثرت في موقف السياسة البريطانيين تجاه تبني خيارات أكثر عدائية والتي عرضتها المخابرات البريطانية

وقد أخبر أرنست بيفن « لجنة الدفاع » بمجلس الوزراء « برأى في غضون ستة إلى تسعة أشهر سيحدث صراع حاسم على السلطة وكان ذلك قبل خمسة أشهر من حدوث معركة برلين .

وتوقع تشرشل وقوع حرب مؤكدة مع الشيوعيين ، وعبر الوزراء الفرنسيون عن مخاوفهم من أن الروس سيصلون في شهر أغسطس .

واستدعى هذا التحذير نشاطاً محموداً ووافق بيفن على إحياء « لجنة روسيا » لتقدم مقترحاتها لتنظيم حملة عبر أوروبا ضد الشيوعيين ، وقد دفعت نفس المخاوف الكابتن أور ليلجنبرج ، ضابط المخابرات السويدية أن يقترب من ماكين عشية عودة الرجل الاسكتلندي إلى لندن .

وسأل السويدي عما إذا كانت المخابرات البريطانية تفكر في دعم عملية لإرسال مجموعة كبيرة من مواطني دول البلطيق بالزوارق إلى الاتحاد السوفيتي لمعرفة عما إذا كان الاتحاد السوفيتي يخطط للغزو . وستكون تلك عملية المخابرات البريطانية ويغطيها السويديون . وأجاب ماكين على نحو إيجابي ومؤكد .. وتلاشى إيصال المخابرات البريطانية بليتوانيا عبر اللاسلكي ، وظل مصير الثلاثة رجال العاملين على جهاز « الراديو » في لاتفيا سراً .

ولم يعرف المزيد عن ذلك من فيلكس رومينكس الذي عاد تحت غطاء العائد إلى

وطنه . وقد وصفت رسائله محاولاته في الاشتباك مع ضابط الـ « كى - جى - بى » في أحاديث لاكتشاف مصير عملاء المخابرات البريطانية الثلاثة .

ولكن صمته في عام ١٩٤٨ كان نذير شؤم ، وفي الواقع ان المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » بنهاية ١٩٤٧ ، قد ثارت شكوكها حول اقترابه المتكرر من رجالها ، ووضعت تحت المراقبة واكتشفت بعض خطابه والتي وضعت تحت الفحص العلمى ، والقى القبض عليه بعد اعتراف سريع منه ..

وكان اكتشاف نشاط المخابرات البريطانية الحالى ، والازمة في برلين .. أسباباً وراء فضيحة موسكو لإدارات الـ « كى - جى - بى » في كل الجمهوريات بمراجعة استراتيجيتها في ضوء توقع تزايد نشاط الجاسوسية الغربى .

وعُهد بمسئوليات مشابهة .. لأعضاء الحزب الشيوعى من البلطيق ، حتى البحر الأسود أولئك الذين يرتدون شارة « الحرس » وعادوا إلى مخطط مؤسس حزبهم لمراقبة نشاط المخابرات المعادية . التى توظف المنشقين من المهاجرين الروس وقد أرسل الجنرال جانيس فيفرس إلى معاونيه في ريجا وإلى الجمهوريات السوفيتية يقول لضباطه التابعين له .. إن المخابرات البريطانية تنوى بوضوح مواصلة نشاطها ، ونريد أن نكتشف مدى نواياهم . ونريد أن نرسل رجلنا إلى عشهم . ومسئولية نسج خيط العش للإيقاع بسيلفروود كاب ، وكار ، وماكن وقد عهدت إلى الميجور لوكاسفيس والطائر الذى اختير لغواية المخابرات البريطانية حتى تدخل عش الـ « كى - جى - بى » هو فيدقوس سفيكس .

واختيار سفيكس .. كان اختياراً ثاقب البصيرة ، فقبل الحرب كان يقود الحياة الاجتماعية في جامعة ريجا وفي الجيش ومدى اتصالاته وأصدقائه مؤثر وفعال ، ويعتقد كل شخص أنه قومى ومعادى للشيوعية ، ويشك البعض وعلى حق .. أنه قد تعاون مع الألمان .. ولكن لا يدرك أى من أصدقائه أن تعاونه مع النازى ومشاركة اللاتفيين في جرائم الحرب الألمانية قد أبعده عن القوميين .

وبعد أن تسلمت الـ « كى - جى - بى » سفيكس سنة ١٩٤٧ ، أقنع أن يذهب إلى الغابات للتعرف على الأنصار ويغدر بهم عندما كانوا يحاربون السوفيت .

وفي ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، هبط سيفكس على شاطئ جوتلاند ، وعلى الفور حاصره البوليس المحلى . وكان بحوزته خطاب من أوزوالديلسكانس وهو مصدر معلومات بريطانى قبل عام ١٩٣٩ والتحق بالمجلس المركزى فى لاتفيا أثناء الحرب .

وحصل سيفكس على خطاب بيلسكانس بعدما أظهر عداؤه للشيوعية وأنه ينوى الهروب إلى الأبد ويحتاج إلى شهادة حسن سير وسلوك فى حياته الجديدة .

وأرسل إلى فيرنرز تيفرس منظم المخابرات البريطانية فى لاتفيا ، الذى يعيش فى ستوكهولم .

وتأخر الاستعلام بينما سيفكس يستجوب بهمة على يد بيرتل بوند ، رئيس قسم « المخابرات المضادة » فى جوتلاند . وكانت الأسباب التى ذكرها سيفكس « لهروبه » لاتقبل الشك . وكما شرح بنفسه ، لقد دفعت مبلغاً لصياد ليعبر بى ، وعاد فوراً . ووافق بوند على إطلاق سراحه ، ووصل سيفكس إلى منزل « تيفرس » .. وغير وجوده فى خطط المخابرات البريطانية بالكامل .

وكان مقرراً أن يسافر أربعة مواطنين من لاتفيا ، جنوداً حديثاً ، على متن قارب ليلينبرج ، لكن وصول سيفكس إلى منزل تيليفرس .. قد زاد من الحماس والثقة بتلك الخطة . وكان سيفكس يمتلك المعلومات التفصيلية عن الحياة داخل روسيا . وكانت معلومات حيوية . واعتقد تيليفرس بضرورة تجنيد سيفكس للعملية . وفى الأيام الأولى ، المح تيليفرس بكل ثقة إلى ضيفه على الترتيبات مع البريطانيين والسويديين ، ومع نهاية نوفمبر ، عرف سيفكس ، أن تيليفرس وبناء على طلب من المخابرات البريطانية ، كان يدير مدرسة للعملاء ، وكانت تعدهم لمهمات داخل روسيا .

ودون جهد يذكر ، زرع ، عميل لوكا سيفكس نفسه وسط عملية ماكين . وراقب الترتيبات الجارية لإقامته الدائمة فى مخبأ ، بقرية صغيرة تبعد ٤٠٠ كيلو متراً جنوب العاصمة ، وليقيم مع فريد لانجس ، أفضل أصدقائه فى فترة ما قبل حرب « ريجا » . وكما يقول فريد : فإن سيفكس كان واحداً من المبع التلاميذ فى فصل ، وكان فريد مسروراً جداً لرؤية صديقه القديم .

وصل لانجس إلى السويد في نوفمبر ١٩٤٥ ، على نفس القارب الذي كان عليه اليمارز سكوب والذي انتقاه في غابات كورزيم . وكانت معركة الشخصية مع الروس شديدة ومريرة . وأطلق شخصيا النار على واحد على الأقل من ضباط الـ « كى - جى - بي » . ولم يكن نادماً على ذلك . ومنذ وصوله إلى السويد وهو يبحث عن دعم للأنصار الذين تركهم خلفه . وقفز على الفرصة التي قدمها له تيفلرس سنة ١٩٤٨ وأن يعود إلى لاتفيا على ظهر قارب سويدي .

وبدا سيفكس مجنداً مثالياً « للعملية » وكان صديقه القديم لانجس أفضل من يتحقق من مصداقية سيفكس .

وفي بداية سنة ١٩٤٩ ، وبعدما أكد لانجس الثقة في سيفكس . عرض تيفلرس خطته وهي إسقاط مجموعة من العملاء من لاتفيا وليتوانيا وإستونيا .. دربتها المخابرات السويدية ، على ساحل لاتفيا . ولتنشئ هذه المجموعة شبكة جديدة ، وقال تيفلرس : أحب أن تنضموا إلى تلك الشبكة .

ورد سيفكس .. لا .. إنه خطر تماماً العودة وأود أن أعيش هنا لأننى حر الآن . وخابت محاولات تيفلرس في حث عمل الـ « كى - جى - بي » ورفض سيفكس بمنتهى الإصرار . وقال تيفلرس : أستطيع أن أعدك بذلك عندما تعود في نهاية « المهمة » وستحصل على مكافأة شخصية ، وقد أدلى بذلك القول عندما لمح تراجع سيفكس . ووافق سيفكس بعد يومين من ذلك .

وفي منتصف يناير .. أرسل سيفكس ولانجس إلى منزل في ليدينجو ، شرقى ستوكهولم ، ووجدوا هناك ستة آخرين مجتمعين يتدربون على أعمال الجاسوسية تحت إشراف الكابتن أندريه من المخابرات السويدية . وكان الستة : واحداً من لاتفيا ، واثنين من إستونيا ، وثلاثة من ليتوانيا . والثلاثة الليتوانيين هم : كازمارس بيليس الذى وصل إلى الغرب مع لوكاشا وكان مشتاقاً إلى العودة إلى المعركة بأسرع مما يمكن . وجوستاس بروس ، وجوناس ديكسنس .

وفي خلال الشهور الثلاثة التالية ، تعلمت المجموعة فن جمع المعلومات ، والرسائل الشفرية وتشغيل اللاسلكى (الراديو) والحياة في الغابات وقال لامجس لزوجته : وأخيراً يمكن أن نفعل شيئاً من أجل بلادنا .. وقد أضفت الأحداث الجارية في دول البلطيق عنصر .. العجلة .. على العملية .. حيث بدأ في وحدات للجيش الأحمر وبإشراف

الـ « كى - جى - بى » الجولة السادسة فى الحرب ، وبدأت ترحيل عشرات الآلاف من الفلاحين والمهنيين من الطبقة الوسطى ، وأولئك المتعاونين مع الألمان إلى سيبيريا .

وفى مشهد يذكر بمذبحة .. الهولوكوست .. لليهود ، وقدر وجود حوالى مائة ألف من الرجال والأطفال والنساء الخائفين والدموع فى عيونهم وهم يحملون حقائبهم الصغيرة ويضعونها فى قطارات متجهة إلى مستقبل مجهول . وكان السوفيت .. بذلك يقتلون آخر أمارات المعارضة .

وأذاعت الدعاية السوفيتية « أن المعارضة البرجوازية القومية الليتوانية العاملة تحت الأرض ، صفيت لتخلص البلاد من عصابات الشر ، ومثل تلك الأقوال .. ترددت عند القيام بعمليات التهجير الجماعى القسرى من لاتفيا وإستونيا .

وقرأ محللو وكالة المخابرات البريطانية والـ « أى - سى - ايه » تلك التقارير فى مذكرة محددة كتبت فى منتصف عام ١٩٤٧ تحت اسم « المعارضة السرية فى ليتوانيا .. التى وصفت .. الجيوش الضخمة والمنظمة والمسلحة جيداً ، ورغم أنها تعيش فى الغابات إلا أنها ترتدى أزياء أعداء لهم الفلاحون والمدنيون وتسبب تلك الجيوش الخراب للسوفيت .

وقرأ روسترك ، وكار ، وماكبن وآخرين من ضباط المخابرات التقارير السوفيتية الأخيرة .. عن سياسة الأرض المحروقة .. وأن تلك التقارير تأكيد على أن جماعات الأنصار لاتزال موجودة .

ولم يقدر ضباط المخابرات البريطانية والـ « سى - أى - ايه » نتائج تلك التقارير وأن عمليات الترحيل القسرى التى يقوم بها الـ « كى - جى - بى » قد نجحت فى القضاء على مساندة الأنصار فى الريف والغابات وأنها تعانى تراجعاً .

ودون اهتمام بتلك النتائج ، واصل العملاء الثمانية للمخابرات البريطانية تدريبهم فى ليدنغو ، وقيل لهم : إن عمليات الترحيل الجماعى ، قدمت للغرب فرصة نادرة .

وشرح الكابتن أندريه قانلا : « يجب أن نخرب تلك العمليات ، وأن نقلب الشعب ضد الروس » ويمكن تفجير خطوط السكك الحديدية واغتيال كبار الضباط السوفيت ، ولكن الأهم من ذلك كله ، هو حشد الأنصار لكسب تأييد ومساندة جماهير الريف التى تعانى من العمل الجماعى القسرى .

وكان لانجس وآخرين مأخوذين بهذا الشرح ، وواصل أندريه القول : « إن هدف العملاء البعيد المدى والهام جداً هو الحصول على معلومات مخبراتية عن القواعد العسكرية السوفيتية » .

وتفاصيل فنية عن الأسلحة الحديثة ، وعن الصواريخ السوفيتية وبرامج محطات الطاقة الذرية .

وفي بداية أبريل سنة ١٩٤٩ ، أعلن لانجس فجأة ، رفضه الاستمرار رغم استكمال الاستعدادات تقريباً لتفادير المجموعة السويد في أول مرحلة ، متجهة إلى روسيا .

وقال لها : إن زوجتى حامل وعلاقتنا تأثرت إلى حد كبير بنشاطى ، ولا يمكن أن نواصل تلك العملية . وحتى يؤمن العملية من الانكشاف والفساد ، انفصل المنشق عن بقية المجموعة ، ولكن ليس قبل أن يتفق مع سيفكس على شفرة سرية للاتصال الشخصى بينهما بالخطابات بناء على شفرة من كتاب ليتوانى .. وخلال عنوان سرى للمراسلات فى ستوكهولم يخدمهما كقناة اتصال خاصة بهما بعيداً عن معرفة المخابرات البريطانية ولم يكن اللاتفى الثالث مستعداً للمهمة ، وبذلك عُهد بنجاح المهمة إلى سيفكس بمفرده وأعطى كافة المعلومات السرية الهامة عن العملية وأطلعته يتلفرس على قائمة الاتصالات مع المتعاطفين التى تستخدمها المخابرات الانجليزية والسويدية فى لاتفيا ، وقد ضمت القائمة أوجستس بيرجمانس ، مُشغل اللاسلكى الوحيد ، والأب فاليدس أمولس وهوتس ، كان قومياً أثناء الحرب ، ثم ساعد فى المقاومة ضد الشيوعية .. ومنزله يبعد مسافة .. السير على الأقدام .. من الشاطيء فى لاتفيا .

وبدا هذا المنزل ، ملجأ مثالياً عندما يصل قادم جديد .. أو هكذا رأى لانجس .

وكما شرح لانجس فيما بعد ، أن هذا كان ملجأ للمنفقين وضباط المخابرات البريطانية وبدأ يحس بشكوك غامضة حول سيفكس وقال : « بعض قصصه بدت خيالية ، ولكنهم لم يكن لديهم بديل آخر للوثوق به » .

وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٩ ، أبحر سيفكس مع خمسة آخرين على متن قارب سويدى لعبور المياه . وبعد ست ساعات ، ألغيت العملية وادعى ليلنبرج أن الزورق بطيء جداً ، مما يزيد من مخاطر الأسر .

وبعد مشاورات عاجلة مع المخابرات البريطانية ، وافقت على إسقاط الادعاء بأن العملية سويدية وأن بريطانيا ستتولى إنزال العملاء .

وطار العملاء الستة إلى قاعدة بريطانية في جوتيرشلون في ألمانيا الغربية ، ونقلوا إلى هامبورج في شاحنة عسكرية بريطانية وجرى التأكد من سلامة الإجراءات والترتيبات النهائية .. وأقام العملاء في فيلا مريحة تطل على نهر الألب .. جهزتها الحكومة العسكرية .

وكان مضيفهم خليط من الضباط الإنجليز المقيمين في هامبورج ومجموعة وصلت مبكراً من لندن .

وكان ضمن المجموعة الأخيرة رجل قدم نفسه على أنه « العم ساندى ماكبن » .

وهذا الضابط التابع للمخابرات البريطانية .. القادم شارع رايدر قد تولى الإشراف على تدريب المجموعة ، وإن ظل دائماً في الخلفية ، وعشية الرحيل طلب فحص شبكة المخابرات البريطانية شخصياً والتي ستكون طليعة نشاط المخابرات في البلطيق .

وقضى الأيام التالية مع الاستونيين بينما انشغل زايمتيس مع الليتوانيين حتى يعطيهم الثقة والإيمان فيما يفعلون .. كما قال ذلك بنفسه .

وأنكر الرجال الستة أنهم أطلوا التفكير في أى لحظة في مصيرهم .

وكانوا يخرجون في ظل حراسة إلى المركز التجارى لشراء الكاميرات ، وفي المساء ، يتناولون الشراب في بارات هامبورج .

وفي ذات الوقت كان القارب الذى سيستقله العملاء إلى الساحل الروسى يخضع لتفتيش وفحص دقيق وأخير . وكان هذا القارب ألمانياً وقع في الأسر وقد ذهب إلى ترسانة صغيرة للسفن في يورت سموث وأعيد بناؤه . وزود بالأسلحة والطوربيدات ومحركة من ماركة مرسيدس بنز ٥ / ٨ وقد فحص الموتور فحصاً شاملاً من قبل مهندس الأسطول الملكى . وأدخلت على الموتور تعديلات حتى يكون هادئاً لأقصى درجة حتى يمكن من الاقتراب من شاطئ الأعداء وبأقل ضوضاء ممكنة . وزود باللاسلكى والرادار في هيئة الرادار والإشارة البحرية والتي تعمل بضابط واحد يخدم على ظهر الزورق لهذه المهمة .

وبعد إتمام هذه التعديلات ، قام القائد أنتونى كورتنى وهو ضابط تابع لمخابرات الأسطول البريطانى ، بتفتيش مفاجيء على قائد الزورق الألمانى .. السابق .. هانز هيلموت كلاؤس .

وفي مايو سنة ١٩٤٩ دعى كورتنى الألمانى لزيارة مقر قيادته في ميندن في ألمانيا

الغربية ، ورغم أن كورتنى عمل خبيراً سابقاً في كسح الألغام إلا أنه في تلك المناسبة بدأ مباشراً ودخل في الموضوع رأساً وقدم نفسه على أنه .. تونى .. وكشف كورتنى أن نشاطات طلاوس في زمن الحرب .. اكتشفتها مخابرات البحرية البريطانية عند فحصها لليوميات الحربية للأسطول الألماني وقد ظهر أن طلاوس منذ عام ١٩٤٤ وحتى نهاية الحرب ، تولى قيادة الزوارق في البلطيق وأسقط العملاء الألمان خلف الخطوط الروسية . للقيام بعمليات تجريبية .

وطلب كورتنى من كلاوس معرفة عما إذا كان الأخير مهتماً باستئناف نشاطه وعمله الحربى كقائد للزورق الألماني ، وتلك المرة في خدمة المخابرات البريطانية .

ولد كلاوس في ماكلينبرج سنة ١٩١٦ لعائلة تنتمى إلى القوميين الألمان .. وكان طموحه أن يخدم الوطن ، وفي أثناء الرايخ الثالث كان لدى الأسطول الألماني ، القليل من الذين نذروا أنفسهم للوطن ومنهم كلاوس ، رغم أنه لم يكن نازياً ولم يكن متعاطفاً مع سياسات نظام الحكم المتطرفة . وأثناء قيادته للزوارق الألمانية حول ساحل البلطيق ، شاهد بنفسه القتل الجماعى لليهود ، ولكنه احترم قوانين حالة الحرب .

وقد حكى كلاوس بكل فخر ، إلى اللورد مونتباتن ، عند لقائه به في مطلع الخمسينات ، وكنوع من إشارة الامتنان إلى المخابرات البريطانية قائلاً : « كنت أعانى دائماً عندما أشاهد البحارة الانجليز يفرقون وفكرت في أمهاتهم المسكينات » لقد وحدت العواطف المشتركة بين البحارة وامتدت لتشمل كراهيتهم للبلشفية .

ولم يحس كلاوس بأدنى شك عندما عرض عليه البريطانيون العودة إلى البحر . وإنها لفرصة مثيرة حقاً لضابط بحرى طموح والذي لم ير أى افاق لمستقبله العمل سنة ١٩٤٩ .

وألحق الزورق الأبيض « س ٢٠٨ » بهيئة حماية مصايد الأسماك والتي شكلتها الحكومة العسكرية البريطانية في هامبورج لمساعدة مراكب الصيد الألمانية الغربية في البلطيق ، وقد عُهد لكلاوس بتجنيد طاقمه من العاملين معه أثناء الحرب .

وفي إجراء .. للحفاظ على سرية المهمة ، كان الزورق « س ٢٠٨ » سيبحر من كيل أو من إكينفورده رافعاً الراية البيضاء في الجزء الأول من الرحلة البالغ ٥٠٠ ميل وحتى خليج صغير في جزيرة الدنمارك . يسمى « بورنهولم » ويرفع العلم السويدى ، وهناك ، كان على كلاوس أن ينتظر مع العملاء أسفل سطح الزورق حتى تصل رسالة صغيرة

وغير شفرية من هامبورج تعطيه أمراً بالتقدم في المهمة حسب تقديره وعلى مسئوليته .

وإذا كان الطقس ملائماً والرياح شرقية بما يقلل من ضوضاء الزورق « س ٢٠٨ » .. فعلى الزورق أن ينطلق بسرعة ويعود في أقصى سرعة ممكنة . وكان هناك سؤال يطرح نفسه على كلاوس دائماً وهو ، ماذا لو أمسكوا بنا ؟

وكانت إجابته .. التأكد من أننا أسرع من أى شخص آخر .. ويقول : ثق بى ، فإن الانجليز لم يتمكنوا من الإمساك بزورقى أثناء الحرب .

وكان موعد الرحيل .. قد ثبت في ليلة ٢٩ / ٣٠ إبريل ، وكانت الجهة التى يقصدها الزورق هى شاطئ بالانجا في ليتوانيا ، وكان مأمولاً أن يتم الإنزال في الأول من مايو وعن يوم إجازة عند الشيوعيين .

وهناك اعتقاد أن حرس الحدود سيكونون في حالة حذر ضعيفة . وعند حلول غسق يوم ٢٩ إبريل .. انطلقت ثلاث سيارات وشاحنة صوب أحد جوانب رصيف ميناء كيل .. بالقرب من الزورق .

وراقب كلاوس ذلك المشهد بصمت ، من كابينة القيادة .. والرجال الستة يحملون حقائبهم على ظهورهم ويلوحون بالبنادق التى يحملونها بتحيات الوداع . ويندفعون نحو الطريق المؤدى إلى الزورق . وبدأت المناسبة شيئاً عادياً .. وعندما فكت حبال الزورق وبدأت اللحظة درامية .

عندما حان الرحيل وقدم الضابط الانجليزي (أقراص - ل) وهى من السيانيدي الخالص ووضع كل رجل حبوب الانتحار في جيبيه ، دون تعليق . وتميز حديثهم عن الأيام السابقة بأنه حديث ثار .. واضطر سيمكس أن يبتسم موافقاً عندما تحدث رفاقه عن كيفية أنهم سيصنعون ثغرة وسط الشيوعيين ، المحتلين لأوطانهم .

وذكر رجل الـ « كى - جى - بى » أن ذلك لم يكن تظاهراً بالشجاعة ، ولكن كان نية أصيلة . وفي رأيه أن تلك المجموعة على رأس الزورق (س ٢٠٨) كانت مجموعة خطيرة حقاً .. وعندما بدأ الزورق يبحر إلى بورنهولم ، بدأ يمعن التفكير فيما يفعله .

ورسماً .. الزورق (س ٢٠٨) في خليج صغير في بورنهولم .. وهذا الخليج استخدمته قوات الأسطول الدنماركى ، بينما انتظر كلاوس التقرير النهائى عن حالة الطقس .

ووصلت الرسالة من هامبورج ، ولم تكن ذات قيمة لمن يسترق السمع حيث

تنبأت .. بهبوب عواصف ، ولم يكن هناك خيار آخر سوى انتظار تحسن الأحوال الجوية .. وظل العملاء أسفل سطح القارب ، بعيداً عن البصر وظل كلاوس يتظاهر أمام مضيفيه الدنماركيين أن مهمته بريئة تماماً وفي الخامس من مايو ، تحسن الجو واتخذ الزورق طريقه بأقصى سرعة متجهاً إلى « بالانجا » مباشرة .

وعلى بعد ٢ كيلو متر من الشاطئ . أصبحت شاشة الرادار واضحة تماماً وأمر كلاوس بإيقاف المحركات .

وفي الثانية صباحاً ، وضع الرجال الستة أنفسهم في قوارب مطاطية وتوجهوا إلى الشاطئ .

وكان إنزالهم متقناً تماماً ولم يلحظه أحد .

وما حدث بعد ذلك كان غامضاً . رغم أنه من الواضح أن الستة رجال قد هربوا في الغابات . وسرعان ما انفصل عنهم سيفكس وبحث عن الميليشيا المحلية ليدفع إليها تحذيره . وحدث إطلاق للنار .. ولقى الرجلان الاستونيان مصرعهما . وتحرك ديكسنس وبيبلس المنطقة قبل أن تصل الميليشيا ومات بيبلس بعد ستة أشهر فيما بعد وهو يقاتل الروس .

وفي أول رسالة تلقاها تيفرس « مكتوبة » باستخدام الحبر السرى ذكر سيفكس أن المجموعة فوجئت على الشاطئ ، ورفض الآخرون في المجموعة الاستسلام وبدأ إطلاق النار ، وهناك عدد منهم قد لقي حتفه على وجه اليقين . ولا يعرف شيئاً عن الأحياء ، لأنه ولحسن الحظ هرب ووصل إلى ريجا . وحيث جهاز اللاسلكى الذى بحوزته في حالة طيبة .

وقد خفف من وطأة الكارثة ، رسالة أخرى تلقاها تيفرس .. وأنه فور وصوله ، زار سيفكس ، أوزوالد بيلسكانس .. وقد أحضر معه بعض الهدايا من السويد وخطاباً مغلقاً ومختوماً من تيفرس .. وأجابه بيلسكانس بأنه سيضمن عودة آمنه لسيفكس إلى ريجا ورغبته المستمرة لخدمة مصالح العالم الحر .

وفي نفس الوقت .. وتحت توجيهه لوكاسيفكس .. أجرى اتصالاً مع فاليدس أمولس ، القس الذى يعيش بالقرب من الساحل .

وكتب إلى تيفرس .. بأن كل المنازل الآمنة لاتزال لم تصب بأذى .

وتبع اتصال سيفكس ، خطاب ديكسنس ، والذى ذكر فيه لزامنشه أنه بعد الرحلة

المرعبة ، وصل إلى ليتوانيا وأنه فقد اتصاله من الضابط المسئول عن تشغيل جهاز اللاسلكى .

واقترح ديكستس ترتيب إرسال مشغل على وجه السرعة وبينما هو يبحث عن قادة منظمة VLAK « الليتوانية » .

وقد أحس كار فى لندن ، بالارتياح . ذلك أن الهيكل الخاص بشبكة ليتوانيا ولاتفيا لا يزال امنا .

وهناك حاجة الآن لمزيد من الإنزال وضرورة التفكير فى ذلك على نحو طارىء . حيث تكثفت الضغوط لزرع المزيد من العملاء .

وقد ترافق وصول هذين الخطابين مع سلسلة اجتماعات فى واشنطن بين فريق وزارة الخارجية البريطانية برئاسة وليم هاتير وكبار أعضاء جهاز المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى - اى - ايه » وموظفى الخارجية الأمريكية المسئولين عن الجاسوسية فى المعسكر السوفيتى .

وكان هاتير عضوا « بلجنة روسيا » التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ، وفى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ناقشت تلك اللجنة اقتراحاً بالبده فى « عمليات هجومية » ضد الدول الدائرة فى الفلك السوفيتى على وجه خاص فى ألبانيا .

وكان الهدف من ذلك تخفيف القبضة السوفيتية على البلدان الدائرة فى فلكه بما يمكنها فى النهاية من استعادة استقلالها . وكانت التكيفات هى .. إثارة السخط المدنى .. والاضطرابات الداخلية قدر الإمكان الشقاق والخلاف .

ورغم أن بعض أعضاء اللجنة كان فى شكٍ من المهمة . إلا أن صوت مارشال الجو اللورد تيدر كان مقنعاً ، حيث قال « إننا نهدف إلى كسب الحرب الباردة ، وأعنى بذلك إسقاط النظام السوفيتى فى غضون خمسة سنوات .

وعكس جدول أعماله .. القناعة الأمريكية البريطانية المشتركة بأن روسيا ستبنى القنبلة الذرية بحلول عام ١٩٥٧ . وبعد ذلك سيصبح صعب احتواء الاتحاد السوفيتى لأن القادة العسكريين البريطانيين حذروا أن مواردهم « للحرب الساخنة تتضاءل بسرعة » .

وقد اختلطت تلك المخاوف مع دلائل التسلط السوفيتى فى أوروبا الشرقية بما أقنع أعضاء اللجنة الموافقة على أن الهدف البريطانى .. أن يكون وبكل تأكيد هو تحرير

البلدان الدائرة في الفلك السوفيتي . بما يعنى أن ذلك يتم فقط بوسائل حرب قصيرة الأمد . ولا يمكن تحقيق شىء من ذلك دون التعاون مع الأمريكان ، وعلى هذا الأساس .. حصل الموظفون على موافقة بيفن بالسفر إلى واشنطن .

واستمر الاجتماع الذى عقد في مارس ١٩٤٩ ثلاثة أيام . وكان أطرافه هاتير ، جلادين جب ، واللورد جيكلوى من الجانب البريطانى ومن الـ « سى - اى - ايه » روبرت جويس وفرانك ويزنر المعادى للشيوعية بلا هواده .

وقد غطى هذا الاجتماع المجال الواسع لإمكانية التعاون بين الشعبين وجهازى المخابرات ضد الاتحاد السوفيتي .

وقد دهش الجانب البريطانى بتلك الحماسة الامريكية للتفوق على المخابرات البريطانية ومباشرة العمليات السرية .. ولكن فزع البريطانىون من المناقشات الغزيرة التي كشفت عن غياب أى تنسيق أو قيادة حازمة ومقنعة داخل جهاز المخابرات الأمريكية .

وكانت خطة جهاز المخابرات البريطانية هى إسقاط النظام فى البانيا ، كما أوضح ذلك هاتير وصدى ويزنر باعتبارها عملية سرية نموذجية من النمط الذى تجرى مناقشته .

وبرأى ويزنر .. فإن أربع سنوات ضاعت فى واشنطن ، بينما أهملنا وتناسينا وناقسنا خبرة المخابرات البريطانية .. وأخيراً ناصرنا خطتها .

وفى ذلك الوقت تغير الكثير .. ليس فقط طبيعة العدو وتضاريس الأرض التى يجب أن تجرى فيها المعركة . وقد تأثر ويزنر دون خجل بتراث التجسس لدى جهاز المخابرات البريطانية .

وكان ويزنر ممتناً لأن بريطانيا راغبة فى تقديم خبرتها وسلم بالقيادة لبريطانيا فى تلك العملية .

وقد ظاهر فرانك ليندس .. تقدير ويزنر .. ومعروف أن ليندس هو الذى دعم كينان فى اقتراحه سنة ١٩٤٧ بإنشاء مدرسة لحرب العصابات وقد اكتسب ليندس شهرة لخدماته الحربية التى أداها مع الأنصار المعادين لتيتو فى يوجسلافيا وأصبح نائباً لـ « ويزنر » ومسئولاً عن أوروبا الشرقية .

وفي رأى ليندس .. أن هاتير وممثلو المخابرات البريطانية يمثلون أفضل تراث وتقاليد العالم الانجلو - أمريكي .

وكان اقتناعه أن من واجب أمريكا مواجهة إمبراطورية الشر وقد اكتسبت تلك القناة صلابة بالتقارير الواردة عن فظاعة تيتو . منذ الحرب ورغم حماسة ويزنر للعمليات السرية كانت من النوع المرضي إلا أن مساندة ليندس لعملية البانيا كانت حاسمة .

وقبول الاتفاق الأمريكي ، بأن يتولى الأمريكان الدفع وتمويل عملية المخابرات البريطانية في البانيا ، بارتياح شديد في برودواي على الأقل من قبل جاك إيستون رئيس اللجنة المشرفة على العملية .

ووصلت مجموعة من الضباط البريطانيين إلى البحر المتوسط في أغسطس سنة ١٩٤٩ ودرّبوا عشرين البانيا على جس إمكانيات إثارة الفوضى والتمرد . وفي أكتوبر .. وضع العشرون رجلاً على الشاطئ وبنهاية الشهر فقد منهم أربعة .. وقد قيل أنهم قتلوا ، إلا أن الباقين عادوا وقرروا أنه رغم المعارضة الهائلة للنظام الشيوعي إلا أن السكان حذرين تجاه إمكانية نجاح انقلاب .

وكان ذلك كافياً .. عند إيستون ومديرى المخابرات البريطانية ، للبحث عن مساندة على مستوى أعلى لتوسيع مطامحهم .

وحدثت واقعة فريدة من نوعها في بداية سبتمبر .. بددت أسس الحذر وأطلقت فيضانا من المطالب لمزيد من النشاط المخابراتى .

ففى ٣ سبتمبر .. عاد نظام الاستطلاع الأمريكى البعيد المدى (ب - ٢٩) إلى قاعدته بالمحيط الهادى .. ومع النظام دليل دامغ أن السوفيت فجروا قنبلة ذرية .

وفجأة بدت كل التقديرات والتقييمات العسكرية والاستخباراتية والسياسية لاقيمة لها . وأصبح التفوق الروسى فى القوات التقليدية .. لم يعد يوازنه التهديد النووى الأمريكى .

وقد أضعف الفشل فى تقدير امتلاك روسيا للقنبلة من مصداقية الـ « سى - أى - ايه » والمخابرات البريطانية ، وقاد ذلك إلى إبعاد مدير الـ « سى - أى - ايه » هيلنكوتر .. وفى نفس الوقت أعطيت للوكالتين السرية والتمويل اللازم لتحقيق الأهداف ، ومن

المفارقات المميزة للصراع بين الشرق والغرب .. أن ستالين كان منذ أربعة شهور يبحث عن تخفيض التوتر بإقامة سور برلين ، بينما البيت الأبيض و « الوائت هول » يعترفون الآن بأنهم في حالة حرب مع روسيا .

وسرعان .. ماخضع نشاط المخابرات البريطانية الموجه بكل طاقته ضد الشيوعية إلى مراجعة دقيقة والتخريب إذا ما ظل مجرد تخريب . كما الحال في البانيا احتجاج إلى موافقة الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية . أما إذا كان التخريب أو الاغتيال هو الهدف ، فإن المخابرات البريطانية كانت تحتاج إلى موافقة وزارية فقط ، وهكذا فإن الأوراق التي أعدها إيستون تقترح تدمير السفن في الموانئ الإيطالية والتي تعتزم نقل السلاحين اليهود إلى إسرائيل ، كانت تلك الأوراق يجب أن تمر عبر القنوات للفحص والمراجعة ثم مصادقة .. حكيمنت أتلى رئيس الوزراء شخصياً . وأيضاً أعطى بيفن موافقته على العمليات السرية داخل روسيا والدول الدائرة في فلكها .

وفي صيف سنة ١٩٤٩ ، وافق على التوسع في تلك الخطط . وكان هارى وهو في قمة نشاطه الوظيفي ، ينجز طموح حياته ، فقد توسعت منطقة عمليات المنطقة الشمالية لتشمل العملاء في بولندا وأوكرانيا ونتيجة التعرض لقيود في الميزانية حصل على موافقة لزيادة الأموال لعملياته . وبينما يتسع نطاق العمليات في البلطيق . انفق كار وماكين على إجراء تحقيق حول « المهمة الكارثة » من السويد وحتى ليتوانيا ، فمئذ إرسال ديكسنس وسيفكس . واختفاء الفريق التالى الذى أرسل .. ماجعل كار يشك أن الفريق القى القبض عليه وفي الحقيقة أنهم قتلوا في شاطئ بالانجا على يد رجال الـ « كى - جى - بى » الذين كانوا في انتظار الفريق .

واعتقد كار وماكين أن عملياتهم تتعرض لخيانة ، وأشارت الدلائل إلى لانجس ، حيث أن انسحابه المفاجيء والغامض من المهمة كان بكل تأكيد مدعاة لكثير من التعجب .

وأشرفت لندن على التحقيق وحتى يمكن دفع أى شكوك أجرى الاتصال الأولى مع لانجس « المارز سكوب » .

فمئذ إطلاق سراح سكوب من السجن في السويد ، ويخدم كتاجر بحرى على متن سفن الشحن البريطانية . وبمساعدة المخابرات البريطانية استقر في كينجستون في لندن ، وبناء على طلب ماكين كتب إلى لانجس قال له : إن صديقه « فيكتور ساندرسون » ضابط المخابرات البريطانى يود السفر من لندن .

وكان لانجس مسروراً بالأخبار التي جاءت إليه وأن ضابط المخابرات البريطاني سيزوره .. ورغم أنه يحاول إتمام زواجه ظل لانجس مخلصاً بالكامل لفكرة النضال ضد ستالين وتحريض لاتفيا .

ومنذ رحيل سيفكس .. جند هو حنترز المزيد من المنفيين الذين استعدوا للعودة إلى روسيا .. وكليهما شجعه استلام خطاب شفري من سيفكس يخبرهما فيه .. عن وصوله الأمن إلى ريجا .

وعلى أية حال .. فإنهم يحتاجون إلى المساعدة من الوكالات الغربية وبدأت رسالة سكوب بأنها وعد بنجدة ضرورية .

وكانت ترتيبات سكوب للموعد ، تفترض الا تعلم المخابرات السويدية شيئاً عن زيارة ساندرسون ولا عن الاتصالات .

وكتب سكوب « يجب أن تذهب محطة جوتبورج للسكك الحديدية وتنتظر شخصاً في الصالة الرئيسية وتحمل صحيفة « الدليل لتجراف » وأضف بعض الكلمات الشفوية التي يستخدمها الجانبين .

كان « ساندرسون » حسن المظهر ، رقيق البنية ، أسود الشعر ومصاب بصم في إحدى أذنيه ، نتيجة الوقوف بالقرب من الانفجارات أثناء الحرب . ويتحدث الألمانية بطلاقة .

ورغم أن « ساندرسون » سعيد بلقاء لانجس إلا أنه كان متلهفاً للاستماع إلى معلومات عن سيفكس . وبدأ غير مندهش عندما عرف القناة الخاصة بلانجس مع العميل في ريجا .

وسأل « ساندرسون » هل يمكنك إرسال تلك الأسئلة إلى سيفكس وتطلب منه الاستعجال في الإجابات ؟ .

وسأل لانجس : ماذا عن العمليات الأخرى في لاتفيا ؟ .

وأجاب ساندرسون : إنه خطير جداً في تلك اللحظة .. الحديث عنها .

ورتب اجتماعين آخرين ، حيث قدم لانجس لاتفيين متلهفين أن يصبحوا عملاء في المخابرات البريطانية .

ومع نهاية سنة ١٩٤٩ ولأسباب لم يستطع لانجس أن يسبر أغوارها ، أدرك أن

ساندرسون لا ينوى تقديم فرص أخرى من العمليات السرية . واحتار ؛ لأن رغبته الجارفة كانت ستوجه ضد الشيوعيين ، وأعاد لانجس التفكير في نصيحة سيفكس في الاتصال بالأمريكان . وكتب إليه سيفكس .. إنهم حقا معادون لروسيا .

ولم يستطع لانجس أن يخمن أنه كان تحت التحقيق كعميل لك « كى - جى - بى » . وعن صديق في واشنطن . أجرى لانجس اتصالاً مع فرع هارى روستزك في الـ « سى - اى - ايه » في مطلع سنة ١٩٥٠ ولم يكن ضباط الـ « سى - اى - ايه » مهتمين بشكوك المخابرات البريطانية لأنه خلال عام ١٩٤٩ أحببت ميول كار للسرية محاولاً روستزك لترتيب لقاء . وكان روستزك وبالمقابل .. أبناء البلطيق متلهفين لإيجاد عملاء مناسبين لهم وبدأ لنمجس مناسباً وفي « كافرين » كان ستيف تانر يشق طريقه نحو إسقاط مجموعة من الأوكرانيين فوق جبال الكاريبي .

ورغم استبعاد كينان سنة ١٩٤٩ الحاسم للأوكرانيين من العمليات السرية لأنه رفض الاعتراف بمطالب الجماعة العرقية في أن تكون لها قومية . وبعد عام من ذلك اختفى ذلك القيد .. لأن الرئيس حث الـ « سى - اى - ايه » لاستخدام كل فرصة .. تقرب من اختفاء القوة السوفيتية من البلدان الدائرة في فلكه .

وكان روستزك .. يعمل على نحو فعال ومعه « شيك على بياض » وتلقى لانجس رسالة من واشنطن بموعد في ميناء هيلسنبرج وفي اليوم المحدد .. توجه أمريكيان ، الأكبر يسمى نفسه « روبرت أرمستروغ » ، والأصغر يسمى نفسه « جونى والكر » ووصلا إلى محطة السكك الحديدية في الموعد المحدد .

وعندما شاهدهم لانجس لأول مرة .. اعتقد أنهما من نجوم السينما .. لأنهما وسيمان للغاية .

ويمكن أن تكتب كلمات الضابطين في هوليوود ، حيث قالوا : إننا نريد منك العمل لحسابنا كمتخصص ، وترسل العملاء إلى روسيا . ونطلب أن نختبرك وكل شيكتك هنا في السويد .

وأحس لانجس بالسرور لهذا الحظ الطيب . ورغم أنه طلب مهلة من الوقت لاستشارة فريقه ، ومن بين هذا الفريق .. اديفنز أوسولتز والذي كان ملفه الشخصي متميزاً في مكتب لوكاسيفكس الخاضع للحراسة جيداً في شارع لينى تحت اسم حركى « بايلوت »